دور التربية الأخلاقية الإسلامية

في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية

© دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٦ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
يالجن ، مقداد
دور التربية الاخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الانسانية ـ الرياض.
١٤٢ صفحة . ١٦,٨×٢٤ سم
ردمك ٧ ـ ٤٣ ـ ٧٧٥ ـ ٩٩٦٠
١ ـ التربية الإسلامية ٢ ـ الاخلاق الإسلامية ٣ ـ الإسلام والمجتمع
أ ـ العنوان
ديوي ١ ,٣٧٧ ١٦/٢٢٤٨

حُقوق الطَبْع محفُوظة

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م

الطّبْعة الثانية
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع : ٢٢٤٨ / ١٦
ردمك : ٧ ـ ٤٣ ـ ٧٧٥ ـ ٩٩٦٠

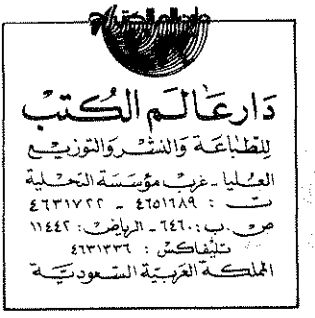

سلسلة كتاب تربيتنا
(٨)

دور التربية الأخلاقية الإسلامية
في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية

تأليف
أ. الدكتور مقداد يالجن
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية العلوم الاجتماعية
قسم التربية

دار عالم الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنّ العالم اليوم يعيش أزمةً حضاريةً أمام تحولات حضارية خطيرة أمام غياب توازن حضارى وغياب حضارة نموذجية تكون قادرة على إسعاد البشرية .

وقد ظهرت هذه الأزمة بصورة أخرى عند انهيار الجناح الغربى من الشيوعية الذى كان فى مقدمة المواجهة الحضارية مع الغرب، ثم اتجاهه نحو الانضمام إلى الحضارة الغربية بعد التخلى عن مبادئها وقيمها وفلسفتها.

وهناك نصف آخر من العالم الشيوعى اهتز كيانه - وهو الصين الشيوعية بعد انفصال روسيا، وبقى فى حيرة من أمره بين السير وراء النصف الآخر وبين المحافظة على كيانه مع بعض التغييرات والتعديلات ،فى نظامه، ولكنه مازال فى تذبذب بين الاتجاهين.

هذا إلى أنّ هناك أجزاء انفصلت عن الشيوعية ، وهى تنتمى أصلاً إلى الحضارة الإسلامية عقيدةً ونظاماً ، وهى فى حيرة من أمرها بين التوجه إلى الحضارة الغربية، وبين التوجه إلى أصلها الحضارى، ذلك أن اتجاه دولها قوى نحو تقليد الحضارة الغربية برمتها، واتجاه شعوبها قوى نحو العودة إلى أصلها .

وهؤلاء المسلمون وأشباههم فى البلاد الإسلامية الأخرى أصبحوا فى حيرة من أمرهم بين النفور من الشيوعية بسبب ما عانوا منها، والنفور من الحضارة الغربية التى لا خلاق لها ، والتى ليست أقل ظلماً من الشيوعية بأى حال، وإن ادعى أهلها المساواة والحرية والعدالة الإنسانية .

ولقد ظهر زيف ذلك فى مشكلة البوسنة والهرسك والشيشان ، وموقفها من الأقليات الإسلامية الأخرى ، إلى جانب انتشار الجرائم وأنواع الفساد الأخرى لعدم اهتمامها بالأخلاق والآداب، وبصدها عن الاتجاه إلى الحضارة الإسلامية،

والإدعاء بأنها حضارة تاريخية مطمورة فى التاريخ وغير واضحة المعالم العملية ، ولا يعرف لها نظام متكامل بكل أبعاده يمكن تطبيقه فى العصر الحديث بل يحتاج إلى بحوث متواصلة حتى يمكن وضعه موضع التنفيذ ، ولهذا لا يستطيعون اقناع الحكام بامكان تطبيقه فى الحياة العملية .

على أى حال ، هناك اتجاه بدأ يتكون فى الأذهان وفى الأبحاث نحو إيجاد البديل الأفضل عمّا هو قائم الآن ، ولكن ما الواجب علينا إزاء هذه التحولات والأزمة الحضارية والتكتلات الدولية حول نظام العالم الجديد وإزاء المواقف الحائرة؟

إن علينا استثمار هذه الظروف لتدعيم الاتجاه نحو البحث عن البديل الأفضل والنموذج الأمثل من الحضارة الأصيلة والمعاصرة التى تلائم طبيعة الإنسان وطبيعة العالم الإسلامى نحو الحضارة التى تسعد ولا تشقى، وتحقق الاستقرار والأمن والرخاء ، وتحقق لهذا العالم الريادة والقيادة .

وقد كنت اتجهت إلى البحث عن البديل الأفضل، وعندما أدركت المخاطر فى ادعاءات الشيوعية وحضارتها ، وفى الحضارة الغربية التى لا تتفق طبيعتها المادية مع الطبيعة الإنسانية ، ولا تحقق كل مطالب هذه الطبيعة وحاجاتها الأساسية ، مع إهمالها كلياً الحاجات الروحية والقيم الأخلاقية ، حيث يؤدى ذلك إلى اختلال التوازن فى الحياة ،وكلما تقدم الجانب الأول وتأخر الجانب الثانى زاد اختلال التوازن الطبيعى فى حياة الإنسان العصرى . وهذا الأمر سوف يؤدى فى النهاية إلى ضياع الروح والأخلاق وفساد القلب ، وسيكون هذا سبباً لضياع الجسم والعقل والروح معاً فى النهاية .

ومن ثم يؤدى إلى انهدام طبيعة البناء الاجتماعى والحضارى معاً .

ونتيجةً لاختلال ذلك التوازن الطبيعى فى حياة الفرد ، وفى حياة المجتمع نرى ازدياد ظهور المظاهر الشاذة والمنحرفة فى حياة الأفراد والمجتمعات ، يتمثل ذلك فى الأمراض الروحية المنتشرة، وكثرة الانتحارات والجرائم الفظيعة والقلاقل

والاضطرابات المستمرة فى الحياة، مما جعل كثيراً من المفكرين الاجتماعيين وعقلاء الأقوام فى تلك الدول المتقدمة حضارياً ينادون ، بل يصرخون بإعادة بناء الأفراد والمجتمع والحضارة على أساس الدراسة التكاملية للطبيعة الإنسانية ، والاهتمام بجميع جوانب هذه الطبيعة وحاجاتها المتكاملة ، الحاجات الجسمية والعقلية والروحية معاً . وسنشرح ذلك مع ذكر أقوالهم فى ثنايا البحث فى الموضوعات المختلفة .

ذلك أنهم بدورهم أدركوا خطورة مصير شعوبهم ، وهم يرجعون ذلك التوزع والتشتت وكثرة الانحرافات والشذوذ والشرور والجرائم إلى طغيان النوازع المادية والأنانية، وفقدان الحياة الروحية الأخلاقية وذلك لإهمالها فى الحياة وعدم الاهتمام بها فى ميدان التربية .

ونتيجة لذلك، بدأ الأفراد يستخدمون علومهم وثقافتهم فى سبيل تحقيق مآرب شخصية غير أخلاقية دون إعطاء أى اعتبار للمبادىء الإنسانية والقيم الأخلاقية، إذ كيف يتصور العاقل مثلا أن تتفق مجموعة من الأطباء القائمين على صناعة الأدوية المهمة لمعظم أفراد المجتمع على احتكار المادة الأساسية فى صنع تلك الأدوية، ثم يبيعونها باعتبارها مادة مخدرةً غالية إلى أصحاب اللهو والمرح والأمزجة الخاصة بأثمان باهظة ؟ ، والمرضى يصرخون من الآلام والأمراض التى يعانونها ويئنون ليلاً ونهاراً ومن شدة وطأتها عليهم . أى ضمير وأى إحساس يقبل هذا ؟ وخاصةً أن دخل أولئك الأطباء من أعلى مستويات الدخل فى البلاد . ومن هذا القبيل أننا لو ذكرنا اختلاس بعض المهندسين وبعض أصحاب السلطة من الأموال العامة بطريق مباشر أو غير مباشر فإنه يطول بنا الأمر ولا يتسع له المقام. ثم إنه لما زادت معارف هؤلاء وثقافتهم زاد جنايتهم على الناس ، لدرجة أن بعض الأفراد يهدد حياة بعضهم الآخر ، كما أن بعض الدول يدمر بعضا بأحدث الأسلحة والصناعات الكيميائية الفتاكة من أجل أغراضٍ غير أخلاقية، وليس هناك رادع أو زاجر أخلاقى يمنع الآخرين من الإقدام على إهلاك غيرهم إلا خوفهم من أن يفعل بهم الآخرون مثل ذلك .

فلو أنهم أمنوا من أن خصومهم لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك لأهلكوهم بدون أن يشعروا بأى وخز ضمير أو إحساس أخلاقى أو عذاب وجدانى ، لأنه لم يبق لهم ضمير أو إحساس أخلاقى أو أدبى ، بعد إهمال ذلك الإحساس ، وطغيان النوازع الأخرى الشريرة عليه، ولقد أعلنت إحدى الجرائد أن فى إحدى المستشفيات فى تلك البلاد قتلوا حوالى ٧٠ شخصا لبيع اعضائهم ونقلها إلى المرضى بأثمان باهظة .

تلك حقيقة يستطيع أى قارىء أن يحيط بها ويقتنع بتلك الفكرة إذا أمعن النظر فى الجرائم والانحرافات المتزايدة التى تحدث على مستوى الأفراد والجماعات والدول فى هذه الأيام حيث يأكل القوى الضعيف ويفترسه كما يفترس الذئب النعاج، ويتفرج أصحاب المصالح على المظالم الفادحة والمذابح البشرية أمام قوة حفظ السلام، وتنتهك حقوق الإنسان التى أقرتها الأمم المتحدة، والأمم المتحدة تتفرج على تلك الانتهاكات، والتى تعرض الصحف والمجلات بعض أشكالها وألوانها، ويزيد اقتناع القارىء لو درس الحياة الاجتماعية الداخلية لتلك الشعوب التى هى أكثر تقدماً منا، كما يزيد خوفه عندئذ من خطورة الموقف والمصير وفى مقال لى نشر فى جريدة الشرق الأوسط ذكرت فيه أربع حملات إبادة و٢٥ أسلوبا من أساليب التعذيب ترتكب فى البوسنة والهرسك فى وسط الحضارة الغربية .

وإنى، لإدراكى العميق لتلك الأخطار المحدقة بحياة الإنسان المعاصر والمجتمعات المعاصرة التى فقدت الحياة الروحية والأخلاقية، وخوفى الشديد على مصير مجتمعنا الإسلامى بعد أن رأيته يسير وراء تلك المجتمعات التى تدعى التقدم والرقى ويحاول تقليدها واتباع خطواتها شبراً بشبر ، فإنه بدون شك يكون مصيره يوماً ما كما آل إليه مصير تلك الشعوب والمجتمعات .

ولشعورى بالمسئولية الإنسانية إزاء المجتمع الإنسانى بصفة عامة وبالمسئولية الإسلامية إزاء مجتمعى اندفعت لإنقاذ مجتمعنا أولاً ليكون رائداً مثالياً للمجتمعات الأخرى فى اتخاذ سبيل الحياة السعيدة للحياة الإنسانية والابتعاد عن طريق الشقاوة

والتعاسة التى لا شقاء ولا تعاسة بعدها . وذلك بإعادة بناء الفرد والمجتمع والحضارة على أساس الروح الأخلاقية الخيرة لنستطيع أن نسير فى طريق خير وإلى غاية خيرة وإلى مصير خيّر .

ومن المفيد هنا أن أبين شرح هذه الروح الخيِّرة التى تتولد فى نفس الإنسان وأبين أن أساس تكونها يرتكز على أساس الإيمان بالله أولاً، ثم الإيمان بالبعث والحساب يوم القيامة ، ذلك أن الإنسان المؤمن بالبعث والحساب يراقب سلوكه الذاتى بجميع أشكاله الظاهرة سوالخفية ، ولا يقبل أن يصدر عنه أى قول أو عمل يسىء إلى الآخرين لأنه سيحاسب على ذلك يوم القيامة ، وأن كل صغيرة أو كبيرة ستسجل فى صحيفة أعماله ، ويجازى عليها بالثواب أو العقاب .

إن جوهر المشكلة الأخلاقية التى يدور الخلاف حولها والتى ترتكز عليها الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية يرجع إلى غياب الإيمان القوى بالله سبحانه وتعالى والإيمان بالحساب يوم القيامة فى ظل عدالة إله خالق قادر واحد قهار ، إذ لو كان يؤمن هذا الإيمان أولئك الأطباء والمهندسون وأصحاب السلطة الذين ذكرتهم فى المثال السابق لما أقدموا على ما أقدموا عليه من استغلال عباد الله وتسخيرهم لتنفيذ مآربهم الشخصية فى ابتزاز الأموال والإبادة بالأساليب الوحشية، لأن المؤمن بالله والحساب لا يمكن أن يقدم على عمل من تلك الأعمال الشريرة، لأن إيمانه يمنعه من الفساد فى الأرض والاعتداء على الناس، حتى إن ذلك الإيمان ليمنعه من ظلم الحيوان الضعيف الذليل العاجز .

إن حضارة أوروبا وأمريكا وروسيا ومن تسير فى فلكها من الدول الأخرى فى العالم، تقوم على الأخلاق المادية ذات الأسس النفعية والإلحادية، والمفاهيم الخاطئة عن الدين عند بعضهم الذين يدعون أن الدين فى القلب وأنه قضية شخصية لا علاقة لها بالتعامل مع الناس والسياسة ، وهذا التعامل الذى يقوم على أساس المنفعة والمصلحة الشخصية وتحقيق الأهداف المتعلقة بالفرد أو الجماعة بما يعود عليهم بالرفاهية وبسط النفوذ فى جميع المجالات السياسية والثقافية والعلمية والاجتماعية بصورة عامة، وعلى المستويات الشتى .

وهكذا الحال فى كل شأن من شئون الحياة، تطبيق مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ، مهما كانت تلك الغاية من الدناءة والحقارة ما دامت تحقق نفعا وديا أو قوميا أو تشبع غريزة أو تأخذ ثأرا التى يجب تحقيقها .

أما الأخلاق فى الحضارة الإسلامية فهى مبنية على أساس الروح الخيرة، القائمة على الإيمان بالله والحساب فى الآخرة ، وبهذا ينضبط سلوك الأفراد والجماعةوالدولة.

لأن الروح الأخلاقية الخيرة ، إذا تغلغلت فى جميع الاتجاهات الإنسانية وتمّ بناء الفرد والمجتمع والحضارة على أساس تلك الروح ، زالت روح الشر من النفوس عندئذ ، ثم إن تلك الروح بطبيعتها الخيرة تدفع الفرد والمجتمع والحضارة إلى التقدم باستمرار فى جميع مجالات والتفوق الحضارى لأنها تولد روح المسابقة فى جميع المجالات ، فهى تدفع كل انسان فى مجال عمله ومهنته إلى الرقى والتقدم، وأن يقدم أكبر قدر أكبر من الانتاج لينال ثواباً أكثر من غيره ، ولينال درجات أعلى عند الله ، كما يتسابق اللاعبون فى ميادين الألعاب .

ولكن لا يمكن تكوين هذه الروح وتزويد كل فرد فى المجتمع بها إلاّ بالتربية الأخلاقية المنظمة فى المناهج التعليمية . ووظيفة هذا الكتاب الذى نحن بصدد تأليفه الآن إبراز أهمية هذه التربية وأغراضها ووظائفها الأساسية فى بناء خير فرد وخير مجتمع وخير حضارة إنسانية .

أما وضع هذه التربية موضع التنفيذ فى النظام التربوى ، فذلك أمر يحتاج إلى بحوث، وحجمها - فى تصورى حالياً - يتكون من سبعة مجلدات ، ثلاثة منها أصول، وأربعة عملية تطبيقية . وقد بدأت بهذا الإنجاز تحت عنوان : موسوعة الأخلاق الإسلامية .

وهنا جوانب أخرى من الدراسة ، وهى إبراز خصائص الحضارة النموذجية

العصرية التى تناسب طبيعة المجتمعات الإسلامية وتكون بديلاً عن الحضارة الغربية التى افتتن بها الناس ، وتحاول هذه الحضارة صهر العالم الإسلامى فى بوتقتها وتشكل الأجيال المسلمة بشكلها .

هذه الأعمال بحاجة إلى فريق عمل ، إذ لا يمكن أن يقوم بها فرد ، ولهذا فكرت بإنشاء مركز يقوم بهذه المهمة، ويكون له مجلة وجريدة ، وسلسلة بحوث، كل بحث يحاول إبراز جانب من جوانب هذه الحضارة .

وبدأت العمل فعلاً بإنشاء مركز تحت عنوان : مركز أبحاث الحضارة النموذجية

وباعتبار أن هذا الكتاب جاء للإسهام فى مجال معين لحل هذه المشكلة الكبيرة، فلتحقيق أهدافه اقتضى الأمر أن يتكون من الفصول الآتية :

الفصل الأول : خصائص التربية الأخلاقية الإسلامية الاجتماعية والحضارية.

الفصل الثانى : دور التربية الأخلاقية فى بناء الفرد .

الفصل الثالث : دور التربية الأخلاقية فى بناء المجتمع .

الفصل الرابع : دور التربية الأخلاقية فى بناء الحضارة .

الفصل الخامس : أهم أساليب التربية الإخلاقية الإسلامية الحضارية

الفصل السادس الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

الفصل الأول

خصائص التربية الأخلاقية الإسلامية الاجتماعية والحضارية

لا نستطيع تحديد ذلك الدور فى تلك المجالات تحديداً كاملاً إلا بعد تحديد خصائص هذه التربية ومميزاتها إذ ليس كل تربية تستطيع أن تقوم بذلك الدور فى بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية .

وتلك الخصائص ترجع أساساً إلى أمرين : أولهما الأخلاق التى تقوم عليها تلك التربية من حيث مفهومها. وأسسها . وغايتها . وقيمها . وما إلى ذلك وثانيهما حقيقة تلك التربية وخواصها الذاتية .

وقيمة أية أخلاق لا تظهر إلا بعد دراسة خصائصها إذ إن معرفة خاصية الشىء متوقفة على معرفة حقيقته. ولا أريد هنا تناول كل تلك الحقائق الخاصة بالأخلاق الإسلامية ومميزاتها الأساسية التى خرجت بها نتيجة لدراستى هذه الأخلاق دراسة خاصة فى كتابى « علم الأخلاق الإسلامية » دراسة مقارنة[1] وإنما أريد أن أذكر خلاصة الخلاصة التى خرجت بها وأحيل القارىء بعد ذلك إلى ذلك الكتاب لكل التفصيلات الخاصة بجميع الموضوعات الأخلاقية .

إن مفهوم الأخلاق الإسلامية هو علم الخير والشر والحسن والقبح وهو أوسع مفهوماً مما جاءت به الأديان والفلسفات حتى الآن . حيث إن الأخلاق الإسلامية يدخل فى إطارها جميع العلاقات الإنسانية حتى علاقة الإنسان بغيره من الكائنات الأخرى الحية. والسلوك الأخلاقى فى نظر الإسلام هو كل سلوك خيِّر وحسن يقوم به الإنسان بإرادة خيِّرة ولغاية خيِّرة. والإنسان المتخلق هو الإنسان الخيِّر فى حياته الظاهرة والباطنة. لنفسه ولغيره على حد سواء . كما أن المبادىء الأخلاقية التى جاء بها الإسلام والتى ينظم بها الحياة الأخلاقية تشمل شتّى سلوك الإنسان . لحياته الخاصة ولحياته مع غيره معا . وتلك المبادىء الأخلاقية تحمل قيماً مختلفة، فنجد هناك مثلا قيما اجتماعية وعلمية وإنسانية وسياسية واقتصادية وما إلى ذلك. وتلك القيم ليست نسبية وإنما هى ثابتة لا تتغير ؛ لأن الحقائق الأخلاقية ثابته فى ذاتها وكذلك قيمها ثابتة. تتضح تلك الحقيقة لدارس الأخلاق

(١) دار عالم الكتب الرياض ، ١٤١٣ .

إذا فرق بين القيم الأخلاقية الأساسية وبين العادات الأخلاقية عندئذ يتضح الفرق تماماً . لكن الذى يتغير تقييم الناس لها من حيث إعطائهم قيمة كثيرة أو قليلة بحسب الظروف والأحوال. ويجب الكشف عن قيم تلك المبادئى بتنمية الاكتشافات العلمية المتعلقة بجوانب تلك المبادىء الأخلاقية . كما تخضع ذلك التقييم للاتجاهات الفلسفية فى تنظيم الحياة الإنسانية ولاهتماماتها الخاصة فى هذه الحياة. ثم تجارب الناس فى هذه الحياة وملاحظاتهم لحياة المجتمعات وما ترتب على تلك الحياة من تعاسة وشقاوة وأضرار ومفاسد إذا خرج مجتمع على القوانين الأخلاقية من أجل تحقيق المنافع المادية والمآرب الشخصية أو القومية.

أما فيما يتعلق بالخصائص والمميزات الراجعة إلى حقائق التربية الأخلاقية بعينها فإننى درست ذلك دراسة مفصلة فى بحثى الخاص بعنوان «التربية الأخلاقية الإسلامية» فقد عالجت هذا الموضوع هناك من حيث مفهومها . وغايتها . وأسسها. ومعاييرها. وطرقها . ومراحلها. ووسائلها المختلفة [1] .

ولا أريد دراسة ذلك كله هنا وإنما أريد الاختصار على حقيقة هذه التربية وخصائصها الأساسية؛ ولأستطيع بيان تلك الخصائص المميزة لابد من بيان حقيقة هذه التربية لدى الفلاسفة والمربين . قديماً وحديثاً ولو بإيجاز. لنستطيع أن نقدر قيمة ما جاء به الإسلام لأن قيمة الشىء لا تتضح تماما إلا إذا قارناه بغيره . إذ الأمور تتضح قيمها عند المقارنة بغيرها مقارنة علمية .

أولاً : اتجاهات المربين فى التربية الأخلاقيه وأهميتها :

وإذا بحثنا عن آراء فلاسفة التربية والمربين فى هذا الموضوع وجدناها كثيرة لا نستطيع ذكرها كلها هنا ولهذا أريد تصنيفها تحت أنواع واتجاهات آتية :

الاتجاه الأول يرى : أن التربية الأخلاقية هى الاعتياد على المبادىء الأخلاقية أى ممارستها زمنا طويلا حتى تصبح عادة بحيث تصدر من المرء تلقائيا من غير تفكير

---

(١) علم الأخلاق الإسلامية دار عالم الكتب الرياض ١٤١٥ هـ .

ولاروية كما تصدر الأفعال الغريزية أو الطبيعية ؛ لأنها تصبح عندئذ طبيعة ثانية .

وقد تبنى هذا الاتجاه كبار الفلاسفة والمربين القدماء ومنهم أرسطو الذى يرى أن التربية الأخلاقية هى الاعتياد على السلوك الأخلاقى أو الفضائل الأخلاقية وذلك خلاف التربية العقلية التى تكون - فى رأيه - بالتعليم التجريبى . يقول أرسطو فى هذا الصدد «إن الفضيلة على نوعين أحدهما عقلى ، والآخر أخلاقى . والفضيلة العقلية تكاد تنتج دائماً من تعليم، إليه يسند أصلها ونموها ، ومن هنا يجىء أن بها حاجة إلى التجربة والزمان . أما الفضيلة الأخلاقية فإنها تتولد على الأخص من العادة والشيم » (١) وتعتمد العادة فى التنمية الأخلاقية - فى رأيه - على وجود قابلية فى الإنسان للتخلق. يقول « إن الفضائل ليست فينا بالطبع وحده وليست فينا كذلك ضد إرادة الطبع ، ولكن الطبع قد جعلنا قابلين لها، وإن العادة لتنميها وتتمها فينا » (٢) ويشرح كيفية الاعتياد قائلاً «يصير الإنسان عادلاً بإقامة العدل وحكيما بمزاولة الحكمة وشجاعا باستعمال الشجاعة »(٣) وأن يستمر على ذلك « إن الإنسان لا يحصل الفضيلة إلا بالتكرار المستمر لأفعال العدل والاعتدال » (٤) ومن ثم ينصح الحكام والمربون بناء التربية الأخلاقية على هذا الأساس فيقول : « فإن الشارعين لا يصيرون الأهالى فضلاء إلا بتعويدهم ذلك وإن أولئك الذين لا يؤدون هذه المهمة كما ينبغى يخطئون الغرض الذى يقصدونه، وهذا هو ما يقرر كل الفرق بين حكومة طيبة وحكومة خبيثة » (٥) .

ومنهم أيضاً جان جاك روسو الذى يقول « وما التربية يقيناً إلا عادة» (٦)

---

(١) علم الأخلاق لأرسطو ترجمه أحمد لطفى السيد دار الكتب المصرية . القاهرة ١٩٢٤ جـ ٢ ص ٢٢٥ .

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٢٦ .

(٣) المرجع السابق جـ١ ص ٢٢٧ .

(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٢٨ .

(٥) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٢٧ .

(٦) أميل جان جاك روسو ترجمة نظمى بوفا الشركة العربية القاهرة ١٩٥٨ . ص ٢٧ .

والطريق إلى تكوين العادة هو الممارسة المستمرة . كما ذكرنا وكما يقول هو بنفسه «فليست طريقتى فى التربية إلا الممارسة العملية للحياة والدروس العملية للفضيلة»[١] .

ومنهم جون لوك الذى يرى أن التربية عبارة عن تكوين عادات جسمية وفكرية وخلقية[٢] .

ويؤيد هذا الإتجاه أيضاً من الفلاسفة المسلمين الإمام الغزالى الذى يقول « ولن ترسخ جميع الأخلاق الدينية فى النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها » [٣] ويقول أيضاً «الطريق إلى تزكية النفس اعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزكية الكاملة حتى إذا صار ذلك معتادا بالتكرار مع تقارب الزمان حدث منها هيئة للنفس راسخة تقتضى تلك الأفعال وتتقاضاها بحيث يصير له ذلك بالعادة كالطبع فيخف عليه ما كان يستثقله من الخير » [٤] .

ومن الفلاسفه الذين يؤيدون هذا الاتجاه أيضاً ابن سينا إذ يقول «والذى يحصن به الإنسان نفسه الخلق ، ويكتسبه متى لم يكن له خلق أو ينقل نفسه عن خلق صادف نفسه ، علّته هو العادة وأعنى بالعادة تكرار فعل الشىء الواحد مراراً كثيرة زماناً طويلاً فى أوقات متقاربة » [٥] .

كذلك يسير على هذا النحو ابن مسكويه الذى يقول «فالأخلاق منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرب » [٦] .

---

(١) أميل ص ١٠٨ .

(٢) تاريخ التربية مصطفى أمين دار المعارف مصر القاهرة ١٩٤٥ ص ٢٨١ .

(٣) إحياء علوم الدين الإمام الغزالى مكتبة المشهد الحسينى جـ ٣ ص ٥٨ .

(٤) ميزان العمل للإمام الغزالى، ص٥٩.

(٥) علم الأخلاق لابن سينا ص ١٩٧ مطبوع مجموعة- الرسائل « انظر المراجع » .

(٦) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص ٣١ « انظر المراجع » .

غير أن بعض المفكرين لم يقتنعوا بأن يكون مجرد الاعتياد تربية أخلاقية لأن الذى يوجه سلوك الإنسان دائماً ليس مجرد الاعتياد بل إن كثيراً ما يعتاد الناس على سلوك معين ثم يغيره عندما يقتنع بفكرة أو اتجاه معين فى أسلوب الحياة وبناء على ذلك ساروا على اتجاه آخر .

وهو الاتجاه الثانى الذى يرى أن التربية الأخلاقية هى تكوين بصيرة أخلاقية عند المرء بها يستطيع التمييز بين سلوكى الخير والشر ويدرك تماماً أن الخير فى الفضيلة والشر فى الرذيلة وأن السعادة تتبع الفضيلة والشقاوة تتبع الرذيلة ، كما يجب تكوين وعى بأن الفضيلة ميزة النفس الإنسانية الشريفة ومن ثم يجب أن يتبع الإنسان الأخلاق . لأنها سلوك إنسانى يجب اتباعه لا لأنها تجلب للإنسان الخير والسعادة فحسب. بل لأنها زينة الإنسان وفى خصائص السلوك الإنسانى.

ومن أنصار هذا الاتجاه الفليسوف الألمانى كانط الذى يمثل مذهبا أخلاقيا متميزاً يقول كانط « إن هذا التعليم (التربية الأخلاقية أو التعليم الأدبى على حد تعبيره) يراد به أن يكون للفتى بصيرة يعرف بها ما هو حسن نافع وما هو قبيح ضار . . . وتعليمه الحقائق فى أنفسها لتتربى فيه الأخلاق الفاضلة من ذات نفسه لا من الخارج [١] وأن يعلم أن للإنسان شرفا خاصاً وسموا يجب عليه أن يتصف به حتى يكون أرقى من جميع الخليقة على الأرض فإن سلك سبيلا غير تلك السبيل بأن خالفه فى نفسه وقار الإنسانية وشرفها فقد أخل بواجبها وعد من الخاسرين»[٢] والبصيرة الأخلاقية تنبنى - عنده - على أساسين الأساس النفسى والأساس العقلى وإن كان يرجح أو يهتم بهذا الأخير أكثر من الأول [٣] .

على أى حال فإن البصيرة هى الأساس فى التربية الأخلاقية فى نظره ويؤكد ذلك بقوله «قلنا إن الإنسان لايصل إلى الكمال إلا بالتعليم ولكن التعليم إنما يكون بالفطنة والبصيرة» [٤].

---

(١) كتاب التربية كانط الترجمه طنطاوى وجوهرى ص ٥٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٥ .

(٣) مقدمة بارتلمى لعلم الأخلاق لأرسطو ص ١٤٨ .

(٤) كتاب التربية كانط «مرجع سابق» ص٢١.

الاتجاه الثالث يرى أن التربية الأخلاقية عبارة عن تلقين المبادىء الأخلاقية بأساليب آمرية وتحذيرات خطابية وذكر أنواع الفضائل الأخلاقية وأنواع المحرمات والرذائل دون بيان القيم المختلفة لكل فضيلةودون بيان المضار المترتبة على كل رذيلة. سولقد عرض الفيلسوف سبنسر بعض صور التلقين قائلاً : « أيها الولد ليست قيمة المرء مقدار نصيبه من مفاخر الحياة الدنيا وإنما قيمته حظه من الآخرة، لذلك كان الأفضل احتمال الظلم والأخذ بلعفو، لا تحدث ضوضاء أيها الغلام. يجب أن تطيع والديك »[1] وما إلى ذلك من الأساليب الخاصة في تلقين المبادىء الأخلاقية دون تبصيرهم بحقائقها ومدى ضرورتها للحياة الإنسانية الفردية والاجتماعية وما يترتب على انتهاكها من مفاسد وشرور وتعاسة وشقاوة فى حياة الفرد والمجتمع . ولهذا كله نقد المربون المحدثون هذا الاتجاه فى التربية الأخلاقية وعدلوا عنه .

الاتجاه الرابع هو الاتجاه الروحي الصوفى الذى يرى أن التربية الأخلاقية ليست مجرد الاعتياد على الأفعال الأخلاقية الظاهرية المادية ، وليست كذلك مجرد خلق بصيرة أخلاقية وليست أخيراً مجرد تلقين وتعليم للمبادىء الأخلاقية بل إنها فوق ذلك وأكثر من ذلك هو تطهير النفس من كل الرذائل والنوازع الشريرة وتحليتها بجميع الفضائل الأخلاقية ظاهرا وباطنا : وهذا الاتجاه نجده لدى المتصوفين بصفة عامة[2].

ففيما يتعلق بالتصوف يعرف كل من درس التصوف باعتباره طريقا روحيا للاتصال بالله، فإنهم فى مفهومهم للأخلاق يضعون ثلاث مراحل فى طريق الوصول إلى الله الأولى التخلية من جميع الرذائل ، والثانية التحلية بجميع الفضائل، والثالثة مرحلة الشهود والثبات فى حضرة الله .إذن فلا سبيل إلى الوصول إلى الله إلا بقطع هاتين المرحلتين ، واهتموا بهاتين المرحلتين كثيراً لدرجة أن بعضهم قصر التصوف على هاتين المرحلتين فحسب وقال « التصوف الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى» [3] لأنه إذا قطع هاتين

---

(١) فى التربية سبنسر ، ترجمه محمد السباعى مطبعة الجريدة مصر ١٩١٨ص ٩٠ .

(٢) فى الفلسفة والأخلاق د. محمد كمال جعفر ص ٢٨٨ .

(٣) الرسالة القشيرية الإمام القشيرى ص ٢١٧ .